الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين

مداخلة بعنوان:

أثر الأنثروبولوجيا في تطور الدراسات الدينية

في إطار الملتقى الوطني المعنون بأنثروبولوجيا الأديان ودراسة ثقافة المجتمع الجزائري

من إعداد:

ط.د كاهنة زروال

Koukizer36@gmail.com

أ صالح بوجمعة

Salah.boudjema25@gmail.com

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

يعتبر الدين أساس تشكل المجتمعات والحضارات والشعوب، ولطالما كان حدّا لا يمكن عبوره في أوروبا طيلة قرون حين كان تحت سلطة الكنيسة عرف تغيرا في طريقة التعامل مع بداية عصر النهضة، حين انتقل من محدودية الدراسة التابعة للإيمان إلى شمولية الدراسة تحت سلطة العقل، فظهرت العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية وارتبطت كلها بدراسة الدين أو تقاطعت معه في بعض الجوانب، ومن هذه العلوم علم الأنثروبولوجيا الذي ربط الدين كجوهر للدراسة في أحد فروعه بالإنسان في مختلف أماكنه ومراحله التاريخية، ولعل هذا الباب من الأبواب كثيرة التشعب ولهذا اخترنا نماذج للدراسة بما يعتبر أساسا لتدين معظم الجماعات الإنسانية، ومن هنا نطرح إشكاليتنا:

كيف ساهمت الأنثروبولوجيا في تطور الدراسات الدينية؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية العديد من الأسئلة الفرعية هي:

- ما مفهوم الأنثروبولوجيا والدراسات الدينية؟
- ماهي المواضيع التي تناولتها الأنثروبولوجيا في تطوير الدراسات الدينية؟
- ماهي الأساليب التي انتهجتها في شرح موضوعاتها؟

وبهذا تظهر أهمية هذا الموضوع في كونه موضوعا حديثا مرتبطا بظاهرة التدين التي تعتبر الأقدم قدم الحضارات الإنسانية والتي استمر غموضها طوال الحقبات التاريخية وعنيت بالدراسة من مختلف العلوم ومنها علم الأنثروبولوجيا.

فكان الهدف من هذه الورقة البحثية بيان دور الأنثروبولوجيا في تطوير دراسة الدين من جهة، وبيان سيطرة موضوع الدين والتدين والظاهرة الدينية على عقل الإنسان الأوروبي في طريقه نحو التطور والانفتاح على مختلف العلوم والحضارات، وكذلك السعي إلى محاولة إبراز جزء ولو باليسير في كيفية معالجة الأنثروبولوجيا للظاهرة الدينية كفرع من علم قائم بذاته اليوم.

ولهذا اتبعنا المنهج الاستقرائي في تتبع مختلف المفاهيم الضرورية والرؤى التحليلية في الدراسات الأنثروبولوجية والدينية وإعادة تركيبها للوصول إلى كيفية تأثير هذا العلم في الدراسات الدينية، متبعين خطة منقسمة إلى محورين؛ مدخل مفاهيمي يحتوي مفهوم كل من الأنثروبولوجيا والدراسات الدينية، والثاني عن مواضيع الدراسات الأنثروبولوجية في الظاهرة الدينية وأساليبها في معالجة الظاهرة الدينية، مبتدئين بمقدمة كما تقتضي الضرورة العلمية، وخاتمين بحوصلة ونتائج البحث.

أولا: مدخل مفاهيمي.

1-مفهوم الأنثروبولوجيا:

تتكون كلمة "أنثروبولوجيا في أصلها اللغوي من كلمتين يونانيتينAnthropos التي تعني الإنسان و Logyالتي تعني علم، وبهذا يكون معنى الكلمة الكامل علم الإنسان، كما تعني علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا[1]، كما تعرف فلسفيا بالعلم الوصفي للإنسان، وهي أيضا في اصطلاح الدارسين "علم من العلوم الإنسانية يهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية"، و"علم من العلوم الإنسانية يهتم بدراسة الإنسان من حيث قيمه (قيم جمالية، دينية، أخلاقية، اقتصادية، ثقافية واجتماعية) ومكتسباته الثقافية"[2]، كما عرّفت من طرف كروبر بأنها "علم دراسة جماعات الناس وسلوكهم وإنتاجهم وهي أساسا علم خاص بدراسة التاريخ الطبيعي لمجموع أوجه النشاط البشري التي أصبحت منجزاتها الراقية في المجتمعات المتمدنة ميدانا للعلوم الإنسانية"[3].

وعليه ننتقل مباشرة إلى موضوع علم الأنثروبولوجيا كما يظهر من تعريفه بأنه جميع ما يتعلق بالإنسان على تباين من ناحية الأولوية بين الأنثروبولوجيين؛ فمنهم من يعتبر دراسة الإنسان يجب أن تشمل الجانب الفيزيقي المادي للإنسان بإيجاد أوجه الشبه والاختلاف مع إنسان في حد ذاته أو مع الكائنات الأخرى، هذا دون تجاوز دراسة هذا الجانب في إطاره الزماني والمكاني، ومنهم من يعتبر أن موضوع الأنثروبولوجيا هو الإنسان في سياقه التاريخي الزمكاني بعض النظر عن قدمه أو تحضره[4].

وعلى أساس ما سبق، فالأنثروبولوجيا علم يهتم بالإنسان في مختلف مراحل تاريخه سواء القديم أم المعاصر من مختلف جوانبه الطبيعية، الأخلاقية، الاجتماعية، الحضارية، الاقتصادية، والدينية، وهذه الأخيرة هي ما ستركز عليه هذه الورقة البحثية باعتبارها عاملا أساسيا في تكوين المجتمعات الإنسانية.

ومن هنا فقد انقسم علم الأنثروبولوجيا إلى قسمين؛ الأنثروبولوجيا الطبيعية التي تدرس الإنسان من ناحيته المادية البيولوجية، والأنثروبولوجيا الثقافية أو الاجتماعية التي تدرس النواحي الحياتية الأخرى للإنسان –على تباين بين المدرستين البريطانية والأمريكية–، وسنركز على بيان الأنثروبولوجيا الثقافية لعلاقتها المباشرة مع موضوع البحث.

---

[1] شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص56.

[2] مصطفى تيلوين، مدخل عام إلى الأنثروبولوجيا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص19، 20.

[3] كريمة شعبان، الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس إعلام واتصال، قسم علوم الإعلام، كلية الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2019-2020، ص13.

[4] المرجع نفسه، ص14، 15.

تدرس الأنثروبولوجيا الثقافية ثقافات المجتمعات في مختلف أنحاء العالم وإن كانت قد بدأت بدراسة العوالم غير الغربية كالمجتمعات الآسيوية والإفريقية والشرق أوسطية وغيرها لينتقل بعدها الأنثروبولوجيون إلى دراسة مجتمعاتهم للحصول على فهم أفضل لمؤسساتهم وقيمهم الثقافية مستخدمين في ذلك أساليب خاصة سنتكلم عليها لاحقا، ومقتحمين بذلك عدة إشكالات تشغل الفكر الإنساني كعمليات التفكير البشري والإدارة الثقافية للبيئة، والدين والإرهاب، وعلم النفس المعرفي والتطوري للدين وغير ذلك[1]، وعليه فالأنثروبولوجيا الثقافية هي "ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة كما تدرس الشعوب المعاصرة"[2]، وهي تهدف إلى دراسة التغيرات الثقافية الحاصلة في مختلف المجتمعات والتمازجات فيما بينها واستخراج خصائص ثقافة كل مجتمع لتفسير المراحل التطورية لثقافته عبر التاريخ، وهذا بالاستعانة بالتراث المكتوب للإنسان القديم وتحديد آثاره، أو بدراسة ثقافة المجتمعات المعاصرة بواقعها المعاش[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الفرع من الأنثروبولوجيا مختص بالمدرسة الأمريكية التي تختلف في مجالات دراسته والتخصصات التي يحتويها حيث أن الأنثروبولوجيا الثقافية في عرف المدرسة الأمريكية تشمل علم الأركيولوجيا في دراسة الشعوب القديمة، علم اللغويات في دراسة لغات الشعوب البدائية والتأثير بين اللغة والثقافة، علما الإثنوغرافيا والإثنولوجيا في دراسة العادات والتقاليد والقيم الخاصة بالمجتمعات المختلفة وآدابها وفنونها دراسة وصفية ثم تحليلها ومقارنتها ببعضها للوصول على نظريات عامة حول الأسس الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الإنسانية وأسس تطورها وتنوعها[4].

في حين اقتصرت المدرسة الفرنسية على هذا النوع من دراسة المجتمعات باسم الإثنولوجيا، وسمّته المدرسة البريطانية الأنثروبولوجيا الاجتماعية نازعة منه علم اللغويات والأركيولوجيا وجعلت مجالاته مقتصرة على النظم الاجتماعية كالعائلة ونسب القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغير ذلك مما يحكم تنظيم المجتمع، وتوغلوا فيها حتى ظهرت فروع أخرى تابعة لهذا النوع من الأنثروبولوجيا كأنثروبولوجيا القرابة وأنثروبولوجيا النظم السياسية والأنثروبولوجيا الدينية، كما هو معروف عند الألمان بعلم الشعوب وعند السوفيات بالإثنوغرافيا بطبيعة دراسات مختلفة قائمة على التحولات التي حدثت بعد الثورة البلشفية والاتجاه نحو الشيوعية الماركسية، وينقسم

---

[1] Moganapriya Nedumaran, Ramya Suresh, ANTHROPOLOGY- AN OVERVIEW, International Journal of Oral Biology, Volume 6/ Issue 1/ January – March 2022, MM Publishers, p6.

[2] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص123.

[3] المرجع نفسه، ص123.

[4] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، فبراير، 1986، ص14، 15.

العرب في الأخذ بتسمياته بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثل المدرسة البريطانية كمصر والأنثروبولوجيا الثقافية كالمدرسة الأمريكية[1].

ومما سبق من تفصيل نخلص إلى أن علم الأنثروبولوجيا حقل أكاديمي يعنى بدراسة الإنسان من الناحيتين البيولوجية والحضارية، من حيث هو مخلوق مختلف فيما بينه ومختلف عن باقي الكائنات يتفاعل في بيئته اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ودينيا ما جعله يخلق حضارات متنوعة بتنوع الأماكن الجغرافية، فانبرى هذا العلم يدرس تلك النواحي بهدف الوصول إلى معرفة شاملة لنشاط الإنسان والاستفادة منه في مراحله التاريخية المتعددة وأماكنه الجغرافية المختلفة فظهرت مختلف الفروع العلمية لهذا الحقل الأنثروبولوجيا الطبيعية، الأنثروبولوجيا الثقافية بمختلف تسمياتها كما سبق البيان والتي تفرع منها هي الأخرى أنثروبولوجيا السياسة، أنثروبولوجيا الأعراق، الأنثروبولوجيا الدينية موضوع بحثنا وغيرها.

2-مفهوم الدراسات الدينية:

يتكون مصطلح الدراسات الدينية من مركب وصفي يحتوي كلمة "دراسات" ذات العلاقة بالبحث ومحاولة الوصول إلى المعرفة والفهم، وكلمة "الدينية" ذات العلاقة بالدين وقد كثرت فيه التعريفات، وعلى كل فالمصطلح يشير إلى دراسة أي دين من خلال العديد من التخصصات كالفينومينولوجيا وتاريخ الأديان وفلسفة الدين وعلم الاجتماع الديني والأنثروبولوجيا الدينية[2]، وقد تطورت الدراسات الدينية بعد أن بدأت دراسات عامة لنقد الأديان في القرن السادس عشر إلى ما يعرف اليوم بعلم الأديان الذي شمل التخصصات المذكورة آنفا، وقد عرض خزعل الماجدي العديد من تعريفاته لدى مفكرين أوروبيين؛ فيعرّفه رويستون بيك بأنه "دراسة علمية وموضوعية تتناول ديانات العالم الماضية والحاضرة، وهذه الدراسة تتوخى دراسة الديانات في ذاتها واكتشاف ما يقوم بينها من نقاط تشابه واختلاف، واستخلاص مفهوم الدين بوجه عام عبر ذلك وإيضاح السمات المميزة للشعور الديني. وعلى هذا، إن علم الأديان مبحث وسط يقف بين التاريخ من جهة، وبين علم النفس وعلم الاجتماع من جهة أخرى"، كما عرّفه ميشال ميسلان بأنه علم خاضع لتاريخ الأديان ويجب أن يبنى على التجربة الإنسانية باستخدام علوم شتى كالتاريخ

---

[1] حسين فهيم، مرجع سابق، ص14-17.

[2] كاثرين يونغ، الدراسات الدينية، تر: أميمة أبو بكر، https://nswya.info/articles/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9، وقت الإطلاع: 08-08-2024، 20:00.

والفينومينولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها بتوظيف مناهجها وتصنيفاتها بهدف الوصول إلى البنى الأساسية للدين لا المعطيات الخارجية فقط[1].

من التعريفين السابقين نلاحظ بأن دراسة الدين قد نحت منحى آخر بداية من القرن السادس عشر، من النقد العام في الدراسات الدينية إلى البحث عن ماهية الدين الأساسية من خلال البحث في مكوناته عن طريق مختلف العلوم ذات العلاقة بالإنسان وبهذا أصبحت دراسة الدين قد استقت مناهجها ومواضيعها من مختلف العلوم الإنسانية ومنها الأنثروبولوجيا الدينية موضوع بحثنا.

وأهم رواد هذا العلم أصحاب النظريات المختلفة هربرت دي شاربوري، أنطوني كارينز، لوك ولافيتو في القرن السادس عشر الذين درسوا الديانات البدائية وديانات الهند وصنّفوها على اختلاف أنواعها، أما القرن التاسع عشر الذي أظهر العديد من التفسيرات الدينية التي قعدت لعلم الأديان مستندة إلى دراسة بروس في التحري عن أصل الدين في سلوك الإنسان، وعضّتها الترجمات المختلفة للآثار والنصوص المقدسة في الحضارات الفرعونية والآشورية البابلية وغيرها؛ فظهر روبرتسون سميث القائل بالطوطمية في أصل التدين وجون فريزر القائل بالسحر، ليكمل بعد ذلك الطريق ماكس مولر ومن معه في القرن العشرين حين أرجع التدين إلى أنه مرض لغوي ناتج عن العجز البشري الطبيعي والاجتماعي، ودوركايم صاحب نظرية العقد الجمعي وأن أصل التدين الأوامر الاجتماعية ويوافقه في هذا ليفي برول[2].

وقد هدف هذا العلم كما بيّنه جان باروزي هو دراسة الأديان أولا الغابرة والحاضرة، كشف ما بينها من تشابه وتباين للوصول إلى دراسة الدين بذاته، ومميزات العاطفة الدينية[3]، ومنه فهو يكتسي نوعا من الضرورة في دراسة الظاهرة الدينية تتمثل في[4]:

- فحص الأديان فحصا علميا ودراستها أكاديميا بعيدا عن المسلمات وكما تقتضيه أسس البحث العلمي.
- فهم الظاهرة الدينية داخل سياقها التاريخي وواقعها بالبحث عنه والتحقق فيه لمعرفة تشكل الأديان وترابطها ببعضها.
- العمل على احترام الأديان المختلفة كأساس له دور كبير في تشكيل الثقافات المختلفة لكثير من الشعوب وكان سببا في تأسيس حضاراته.

---

[1] خزعل الماجدي، علم الأديان، مؤمنون بلا حدود للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص49-51.

[2] جيب وعادل العوّا، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، أكتوبر1977، ص7، 8.

[3] المرجع نفسه، ص12.

[4] خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص51، 52.

- يعمل علم الأديان كذلك على دراسة الأديان المختلفة دراسة محايدة دون خلفيات أيديولوجية أو عرقية أو ثقافية أو سياسية مما يساهم في فهم الظاهرة الدينية والدين بشكل أعمق.
- ويحترم أيضا الخصوصية التاريخية للدين الواحد أو الأديان المختلفة بالرغم من انتهاجه منهج البحث العلمي في الرصد والتحليل مما يساهم في دراستها بدقّة.

كما أن علم الأديان يحتوي مختلف المواضيع التي تشكلت فيما بعد كعلوم قائمة بذاتها كعلم اللاهوت (الثيولوجيا)، علم الأسطورة (الميثولوجيا)، علم الأخرويات (الإسكاتولوجيا)، علم المذاهب والطوائف، علم السير المقدسة، وعلم الأخلاق والشرائع وغيرها[1].

وقد أعطت الأنثروبولوجيا بعدا آخر لدراسة الأديان وإعطاء مفهوم محدد واضح للدين؛ فأخرجته من التعريف الإيماني التسليمي إلى التعريف الموضوعي القائم على الوصف والتشخيص والتأويل؛ فتمت دراسة الظواهر الدينية من حيث معتقداتها وطقوسها وشعائرها ومقدساتها وأنظمتها الرمزية ونصوصها المقدسة وتمّ التخلص من ثنائية الدراسات الحق والباطل إلى اعتبار الأديان مشتركا إنسانيا مساهما في بناء الحضارات، والاختلاف فيما بينها كما يقرّه غيرتز لا يعني التفاضل وإنما للأديان كلها وظيفة أنطولوجية متمثلة في إضفاء المعنى على الوجود الإنساني وعلى العالم الذي نعيش فيه[2].

ودون الإطناب في مكونات هذا العلم ومخرجاته والمعيقات التي تعترضه في دراسة دين على آخر، يمكن إجمال القول بأن علم الأديان هو الصيغة المتطورة للدراسات الدينية التي بدأت بنقد عام للأديان ليأتي بعدها لدراستها موضوعيا دون أي خلفيات عرقية أو أيديولوجية منتهجا طريقة البحث العلمي من ناحية التحليل ومحترما للخصائص المرحلية لكل دين، وبهذا يمكننا علم الأديان من دراسة الأديان المختلفة ومعرفة أسسها كما يعتقدها أصحابها وكيف ساهمت في بناء الحضارات المختلفة باستخدام مختلف العلوم التي يتضمنها كدراسة المعتقدات والشعائر والأخرويات والسلوك والأخلاق ومختلف المذاهب والطوائف والحركات، وهنا يظهر تقاطعه مع العلوم سابقة الذكر كعلم الاجتماع الديني وعلم النفس الديني والأنثروبولوجيا الدينية.

فالعلوم الإنسانية المختلفة التي ظهرت في أوروبا بعد القرن السادس عشر قد عرفت تداخلات في بينها من خلال المواضيع المطروحة، ولئن كان الدين من أهم الموضوعات نال قسطا وفيرا من الدراسات بمختلف الصيغ والمناهج.

---

[1] خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص52.

[2] زهية جويرو، أثر الأنثروبولوجيا الدينية في تجديد الدراسات الإسلامية، مجلة التجديد العربي، المعهد العالمي للتجديد العربي، ع1، يناير2021، ص90.

ثانيا: مواضيع الدراسات الأنثروبولوجية في الظاهرة الدينية وأساليبها.

كما سبق وأشرنا أن الأنثروبولوجيا تطرقت في دراستها للدين إلى العديد من المواضيع الأساسية والثانوية في تكوين المنظومة الدينية في المجتمعات، وعلى هذا الأساس سيتم التحدث في هذا العنصر على أهم المواضيع الدينية التي اهتمت بها الأنثروبولوجيا وكيفية دراستها، ولتشعّب المجال اخترنا عيّنات رأينا من خلال البحث أنها أهم ما يعتمد عليه الباحثون.

1- مواضيع الدراسات الأنثروبولوجية في الظاهرة الدينية.

أ- المقدس:

يعرف المقدس بأنه "صفة يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن يعتبرها واجبة الاحترام فيقيم لها طقوسا دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله، أو الآلهة أو المعبودات أو القوى فوق الطبيعية، أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية للمجتمع، ولذا فهي مصونة من العبث أو التخريب"[1]، وهو كما اعتبره دوركايم الأشياء التي تحيط بها الموانع والمحرمات؛ بمعنى أن كل ما انفصل عن أشياء أخرى سواء كان مكانا أم زمانا أم أشياء وأحيطت بها المحرمات أصبحت مقدسا ولا يمكن أن تخترق إلا بالطقوس والعبادات، ويقابله الدنيوي أي الذي يمكن للناس التعامل معه بكل أريحية[2]، كما عبّر عنه علماء الأديان بأنه نتاج الانفعال العاطفي المفضي إلى التأمل الذهني ليشكل بعد ذلك خبرة تضبط وفقها المفاهيم الدينية والتصورات الغيبية لتتناقلها الأجيال مكونة بذلك صورة المقدس[3]؛ فاعتبره أوتو مصدر الروحانية المؤدية إلى معرفة الإله، بينما اعتبره دوركايم القوة الجمعية المتماسكة داخل المجتمع، وأرجعه سودربلوم إلى الأصل النفسي المتمثل في رد الفعل حين مواجهة شيء مدهش يرجع للأصل الخارق[4].

ومما سبق فالمقدس هو الوصف الذي يطلق على كل ما تحوطه هالة الممنوعات والمحرمات سواء كان شيئا أو مكانا أو زمانا أو حتى قوة طبيعية، تحدد الشعوب المنفعلة معها طريقة التعامل معها انطلاقا من انفعالات عاطفية وتأملات ذهنية تورّثها للأجيال اللاحقة لتصبح عرفا لدى تلك الشعوب على حدة.

وقد أرسى الأنثروبولوجيون في دراستهم للمقدس حدودا خاصة به تفصله عن الدنيوي؛ بحيث لا تتم دراسته في ظل التعارض بينهما كما أقرّ دوركهايم وألا تنطلق الدراسة بخلفيات عرقية ومفاهيمية تفرض على الآخرين، وإنّما تكون

---

[1] شاكر مصطفى سليم، مرجع سابق، ص837.

[2] زهية جويرو، مرجع سابق، ص91.

[3] عباس ظاهري، الدين في الدراسات العلمية المعاصرة مقاربات في المفهوم والبنية والنشأة والوظائف، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، مج6، ع1، يونيو2022، ص247.

[4] كلود ريفيير، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2015، ص41-44.

بوصف شامل للأنظمة كما هي عند أهالي المنطقة وبذلك يتم جمع جميع التمثلات التي يطلقون عليها "دينية" من طقوس وتشريعات وأعراف يتبعونها في عبادة المقدس[1]، فتمّ تقرير بأن ما هو مقدس/دنيوي يختلف من مجموعة لأخرى ومن دين لآخر ومن عصر لآخر كما هو الحال مع نجاسة الخنازير، تقديس الزواج من امرأة واحدة فقط، وتقديس القمر[2] ويمكن الرجوع إلى كتاب كلود ريفيير للتوسيع في هذا الموضوع.

فتأثير البحوث الأنثروبولوجية في دراسة المقدس ظهر من ناحية العلاقة بين المقدس والدنيوي، فقد أثبتت أن العلاقة بينهما ليست علاقة تضاد ولا تكامل وإنما هي وليدة الظروف التاريخية فما هو مقدس في زمن ما يمكن لزمن آخر إلغاء قداسته، وما هو غير مقدس في مكان ما يمكن أن يكون مقدسا في مكان آخر وهكذا، فساهمت الأنثروبولوجيا من هذا الباب في إعطاء نظرة جديدة للأديان وإقصاء النظرة التعصبية التكفيرية فيما بينها وإحلال مجال للتعايش بين مختلف الأديان والمذاهب[3].

ومن هنا ظهر تأثير الأنثروبولوجيا في الدراسات الدينية من خلال طريقة التعاطي مع دراسة أديان الآخر وعقائده بحيث يجب على الباحث الاتسام بالموضوعية في رحلة اكتشاف مقدّس منطقة معينة أو شعب معين مغاير لثقافته أو ما اعتاد عليه دون وضع حكم مسبق مبني على خلفيات دينية أو عرقية أو حتى أيديولوجية للمساهمة في تقريب العالم والبعد عن كثير من الصراعات.

ب- الطقوس والممارسات الدينية:

إن الطقوس هي مجموعة الأفعال التقليدية المرتبطة بالدين والسحر والتي يحدد العرف أسبابها وأغراضها، وهي نابعة عن اعتقاد ممارسيها برضى الآلهة في حالة فعلها وسخطهم في حالة تركها، كما أنها تظهر في العديد من التصرفات كالرقص وتقريب الأضاحي وترديد التراتيل، كما تظهر في العديد من المناسبات الاقتصادية والاجتماعية[4]، فالطقوس عبارة عن ممارسات عملية ذات دلالات رمزية يقوم بها الممارسون بصفة دورية كالصلاة والصيام وزيارة الأماكن المقدسة للتعبير عن الخضوع والرغبة في التواصل مع الإله، وهي تختلف عن الأعمال الروتينية العادية من حيث حملها لهذه الدلالات، كما أن للطقوس أبعادا فردية واجتماعية حين تتحكم في مشاعر الممارس بابتعاده عما يعتبر محرما أو فاحشا مما يؤدي إلى غرس القيم الفردية والفضائل وبالتالي بناء مجتمع ذي برنامج يؤدي إلى الفضائل، إلا أن هذا

---

[1] لحسن صديق، الأنثروبولوجيا الدينية، مجلة الإنسان والمجال، مج6، ع1، أفريل2020، ص47، 48.

[2] كلود ريفيير، مرجع سابق، ص45.

[3] لحسن صديق، مرجع سابق، ص91.

[4] شاكر مصطفى سليم، مرجع سابق، ص824.

واقعيا غير محكوم بالنجاح في جميع الممارسات؛ إذ أثبت الواقع بعض الممارسات الشكلية للطقوس بما لا تعود على ممارسيها بالامتناع أو بالتحلي بالفضائل[1].

ويلازم الطقوس مصطلح آخر يعرف بالتجربة أو الممارسة الدينية وهي التعبير الي يقوم به المتديّنون للتعبير عن خضوعهم للإله واحترامهم للمقدس سواء كانت هذه الممارسة أقوالا وأفعالا، وتختلف من دين لآخر أو من شعب لآخر ولو كان من نفس الملّة والدين ولهذا اعتبرها الأنثروبولوجيون "وعي خاص وذاتي بوجود المتعالي وأفعال تواصل رمزية معه تسعى لتحقيق ذلك الوعي وللعيش بمقتضى ما يقوله لنا وما يرشدنا إليه"[2].

فالدراسات الأنثروبولوجية وصلت من هذا الباب إلى فهم الظاهرة الدينية وتعامل المتديّنين مع المقدس انطلاقا من أفعالهم وبناء على تجربتهم الدينية متمثلة في الطقوس المختلفة المعبرة عن الخوف والرضوخ والمؤدية إما إلى الامتناع عن الأشياء المحرمة بحسب كل فئة متديّنة، أو إلى السمو إلى الأخلاق الفاضلة سواء فرديا أو جماعات إلا إذا كان هذا التديّن ظاهريا فقط كما أثبتت بعض الخبرات والتعاملات الواقعية.

كما أن للطقوس مرادفا استخدمه الأنثروبولوجيون في قراءة التجربة الدينية وهو مصطلح شعيرة؛ فعرّفوها على أنها "عبارة عن مجموعة من الأفعال المتكررة والمقننة التي تكون غالبا وقورة ولها نظام تأدية شفهي أو حركي ومحملة بالرمزية، وقائمة على الإيمان بالقوة الفعالة للقدرة العليا التي يحاول الإنسان أن يتصل بها بغرض الحصول على نتيجة مرجوة"[3]؛ فللشعيرة الدينية ارتباط وثيق بالطقوس المستعملة في التعبير عن الخضوع في التجربة الدينية، وقد أوضح الأنثروبولوجيون العديد من الشعائر عند مختلف الشعوب ودلالاتها الرمزية؛ ففيها ما هو مرتبط بالأمور الحياتية كالميلاد والزواج والوفاة والتأبين، وما هو مرتبط بالحدث الطبيعي كالجفاف والحرب والمرض كما في دراسة تيرنر، كما أعطوها تقسيمات أخرى كتقسيم دوركهايم كالطقوس والشعائر المرتبطة بالتطهير وتلك المرتبطة بالتعاويذ، وتقسيم كلوكمان في الشعائر الانعكاسية كزواج المحارم في حالات مؤقتة في العائلات الحاكمة والشعائر التحويلية التي تبعد عن الفساد الأخلاقي مثلا أو ابتعاد أحد المخلصين لخدمة القوى المقدسة، وغيرها من التقسيمات، كما أن هذه الشعائر تختلف باختلاف الزمان من حيث البقاء أو الزوال أو التطور[4].

---

[1] زهية جويرو، مرجع سابق، ص93.
[2] المرجع نفسه، ص92، 93.
[3] كلود ريفيير، مرجع سابق، ص150.
[4] المرجع نفسه، ص150، 156.

ومما سبق نخلص إلى أن الدراسات الأنثروبولوجية أعطت طريقة جديدة في التعامل مع الدين لفهمه من خلال دراسة التجربة الدينية لمختلف الشعوب من خلال الطقوس والشعائر التي يعبر بها كل مجتمع عن علاقته مع مقدّسه في زمن ومكان معينين، مع إمكانية بقائه لمدة طويلة بعد ذلك أو زواله أو تطوره.

2- أساليب الدراسات الأنثروبولوجية للظاهرة الدينية.

أ- المشاركة والملاحظة:

يتخذ هذا الأسلوبَ الباحثون في الأنثروبولوجيا الثقافية ككل، وهو قائم على مشاركة العينة المجتمعية محل الدراسة حياتهم اليومية وملاحظة تصرفاتهم المختلفة التي يبني عليها الأنثروبولوجيون نتائج دراساتهم التي تشمل وصف الظروف البيئية، الأنماط الاقتصادية، التنظيم الاجتماعي، النظام السياسي والطقوس والاعتقادات الدينية[1].

أول من ابتدئ العمل بهذا الأسلوب هو الأنثروبولوجي مالينوفسكي[2] الذي أخرج الدراسات من التنظير إلى العمل الميداني ومخالطة عينات الدراسة وحتى تعلم لغتهم واكتساب ثقافاتهم للوصول إلى نتائج دقيقة خالية من أي احتمال للكذب أو التزييف نظرا لدراسة الباحث العينة كأنه جزء منها، وبهذا تم تمويل الأبحاث من طرف الدول الأوروبية خاصة في البلدان المتوحشة كما أطلقوا عليها بغية استعمارها، كما استغلوا هذا النوع من الدراسة في تطوير اقتصادهم كما حدث في تطوير منطقة إنجي في فرنسا عام 1958[3].

وعلى هذا فالمشاركة والملاحظة تعتبر أساسا من أسس البحث الميداني للعينات المجتمعية التي يختارها الأنثروبولوجي ويندمج معها ويتعلم لغتها ويحي حياتها من سنة إلى ثلاث سنوات يكون بينها فاصل لمدة ستة أشهر لتدقيق ومراجعة ما تم جمعه في الفترة الأولى[4]، وعلى سبيل المثال نجد مختلف الممارسات الدينية كالطقوس –كما أسلفنا الذكر– التي يفكّ دلالاتها الرمزية مستعينا بالتفسيرات التي يقدمها ممارسوها أو تقدّمها مراجعهم[5].

---

[1] Moganapriya Nedumaran, Ramya Suresh,Op Cit,p6.

[2] عالم أنثروبولوجي (1884-1942) جمع العديد من الجنسيات، نمساوي المولد بولندي النشأة بريطاني الجنسية، وهو من أقطاب الأنثروبولوجيا الحديثة بوضع الأسس العلمية للدراسة الميدانية وسافر لمختلف القارات التي أجرى دراسات حول سكانها كإفريقيا وأستراليا وأمريكا اللاتينية، اشتغل في جامع ييل مدرسا للأنثروبولوجيا وترك العديد من المؤلفات حول دراساته. شاكر مصطفى سليم، مرجع سابق، ص590، 591.

[3] مصطفى تيلوين، مرجع سابق، ص101-106.

[4] شاكر مصطفى سليم، مرجع سابق، ص344.

[5] زهية جويرو، مرجع سابق، ص93.

وبهذا أعطت المشاركة الميدانية والملاحظة المبنية عليها نفسا جديدا للدراسات الدينية من خلال احتكاك الدارس لدين مجتمع ما بالفئة المطبقة له وإعطاء وصف وتحليل دقيق لطريقة تديّن تلك الفئة وكيفية معاملة معبودها ومقدساتها بعيدا عن طريقة التنظير وإعطاء مغالطات لا أساس لها في دين معين مخالف لدين الدارس.

ب– المقابلة:

تعتبر أسلوبا يستخدمه الباحث الأنثروبولوجي ميدانيا لجمع المعلومات حول الموضوعات التي يقوم بدراستها من خلال نقاشات مع أفراد المجتمع الملمين بتلك المواضيع لكي يحللها ويستفيد منها في بحثه العلمي[1]، وتنقسم إلى قسمين مقابلة موجهة وأخرى غير موجهة؛ فالمقابلة غير الموجهة هي مقابلة بعض أفراد العينة المدروسة ممن يكتسبون سمعة طيبة فيطرح عليهم الباحث مجموعة من الأسئلة مع ترك مجال الحديث لهم دون توجيه من الباحث بغرض كسب ثقتهم وعدم محاولة تزييف الحقائق، ثم يقوم بعد ذلك بتدوين المعلومات المتحصل عليها بالآلات الحديثة بعد العديد من الجلسات أو بطريقة لا يثير بها الشك في حالة عدم اعتياد الفئة على هذه النوعية من البحوث أو تدوينها بعد المقابلة مباشرة، أما المقابلة الموجهة فهي عبارة عن مقابلة يجهزها الدارس بمواضيع محددة وإجابات محتملة يطرحها على الأفراد بطريقة محايدة لا تؤثر على نفسية المسؤول للوصول إلى إجابات كافية[2]، كما يقوم هذا النوع من المقابلات على ملء الاستمارة التي يستخدمها الدارس أو الباحث الأنثروبولوجي في جمع معلومات العينة محل الدراسة عن طريق طرح أسئلة على أفراد تلك العينة[3].

أول ما قام عليه هذا الأسلوب هو فكرة التهديد بزوال ثقافات كثير من الشعوب البدائية فكانت الاستمارة الحل الأنجع للحفاظ على هذه الثقافات، بمقابل أن يشترط في الدارس بهذا الأسلوب الخبرة الكبيرة في التعامل مع العينات المدروسة، كما لازال يستخدم ليومنا خاصة في الدراسات المسيحية الميدانية[4]، إلا أن ما يعيبه هو عدم نجاحه إلا مع المجتمعات المتمدنة لا البدائية لعدم اعتيادهم على مثل هذه اللقاءات[5].

ولهذا كما سبق لنا الذكر كان لزاما على الباحث التحلي بضوابط منهجية للوصول إلى نتائج مرضية عن طريق المقابلة متمثلة في:

- ملاءمة أحاديث المتكلم لموضوع البحث.

---

[1] شاكر مصطفى سليم، مرجع سابق، ص468.

[2] عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، مكتبة العبيكان، 2001، ص236، 237.

[3] عيسى الشماس، مرجع سابق، ص175.

[4] المرجع نفسه، ص175، 176.

[5] عدنان أحمد مسلم، مرجع سابق، ص237.

- توفير جو من الثقة بين الباحث والمبحوث.
- الاهتمام بنوعية التفاعل ضمن المقابلة.
- التحفيز المستمر لمن تجرى معه المقابلة للوصول إلى أكبر قدر من المعلومات.
- تغيير أسلوب المقابلة بحسب شخصية كل مبحوث.
- خلق جو طبيعي مع كل مبحوث متّسم بالثقة والابتعاد قدر الإمكان عن ممارسة سلطة أو تراتبية أو طبقية اجتماعية[1].

وعليه فالمقابلة أسلوب ميداني هو الآخر يعتمد عليه الباحثون في الأنثروبولوجيا الثقافية في دراسة مختلف الظواهر الثقافية ومنها الدينية بناء على الاتصال المباشر مع أفراد ذلك المجتمع عن طريق الأسئلة سواء كانت موجهة أم لا باستعمال تقنيات منهجية تقوم أساسا على خلق جوّ تسوده الثقة بين الباحث والمبحوث للوصول إلى معلومات دقيقة صحيحة بعيدة عن التشويه والتزييف أو المغالطات.

[1] سوسان جرجس، المقابلة، تقنية في البحث الأنثروبولوجي، https://www.aranthropos.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%A9-%D8%AA%D9%82%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A وقت الإطلاع 01-09-2024، 20:00.

الخاتمة:

وفي الأخير نخلص من هذه الدراسة إلى العديد من النتائج متمثلة فيما يلي:

- الأنثروبولوجيا حقل أكاديمي غرضه دراسة الإنسان من جميع جوانبه الحضارية والبيولوجية والثقافية ومنها الدينية في مختلف المراحل التاريخية.
- عرفت الدراسات الدينية من مطلع القرن السادس عشر تغيرا في التعامل مع الظاهرة الدينية مستقى من مختلف العلوم الإنسانية ومنها الأنثروبولوجيا.
- نحى علم الأديان في دراسة معتقدات الشعوب وطقوسها وشعائرها منهج البحث العلمي من ناحية التحليل والوصف بناء على الدراسات الأنثروبولوجية.
- أثرت الأنثروبولوجيا في الدراسات الدينية من ناحية طريقة التعاطي مع أديان الآخر بحياد وموضوعية بعيدة عن الخلفيات العرقية والأيديولوجية، وبالتالي المساهمة في التخلص من التعصب المقيت بين الشعوب.
- أعطت الدراسات الأنثروبولوجية طريقة جديدة في التعامل مع الدين لفهمه من خلال دراسة التجربة الدينية لمختلف الشعوب من خلال الطقوس والشعائر التي يعبر بها كل مجتمع عن علاقته مع مقدّسه في زمن ومكان معينين، مع إمكانية بقائه لمدة طويلة بعد ذلك أو زواله أو تطوره.
- أعطت المشاركة الميدانية والملاحظة المبنية عليها نفسا جديدا للدراسات الدينية من خلال احتكاك الدارس لدين مجتمع ما بالفئة المطبقة له وإعطاء وصف وتحليل دقيق لطريقة تديّن تلك الفئة وكيفية معاملة معبودها ومقدساتها بعيدا عن طريقة التنظير وإعطاء مغالطات لا أساس لها في دين معين مخالف لدين الدارس.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

- جيب وعادل العوّا، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، أكتوبر1977.
- حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، فبراير، 1986.
- خزعل الماجدي، علم الأديان، مؤمنون بلا حدود للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص49-51.
- زهية جويرو، أثر الأنثروبولوجيا الدينية في تجديد الدراسات الإسلامية، مجلة التجديد العربي، المعهد العالمي للتجديد العربي، ع1، يناير2021.
- شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص56.
- مصطفى تيلوين، مدخل عام إلى الأنثروبولوجيا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص19، 20.
- عباس ظاهري، الدين في الدراسات العلمية المعاصرة مقاربات في المفهوم والبنية والنشأة والوظائف، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، مج6، ع1، يونيو2022.
- عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، مكتبة العبيكان، 2001.
- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
- كريمة شعبان، الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس إعلام واتصال، قسم علوم الإعلام، كلية الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2019-2020
- كلود ريفيير، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2015.
- لحسن صديق، الأنثروبولوجيا الدينية، مجلة الإنسان والمجال، مج6، ع1، أفريل2020.

- Moganapriya Nedumaran, Ramya Suresh, ANTHROPOLOGY- AN OVERVIEW, International Journal of Oral Biology, Volume 6/ Issue 1/ January – March 2022, MM Publishers

المواقع الإلكترونية:

- سوسان جرجس، المقابلة، تقنية في البحث الأنثروبولوجي، https://www.aranthropos.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%A9-%D8%AA%D9%82%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A
- كاثرين يونغ، الدراسات الدينية، تر: أميمة أبو بكر، https://nswya.info/articles/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9